جامعة القاهرة
كلية دار العلوم
قسم النحو والصرف والعروض

تراكيب التهكم في القرآن الكريم
دراسة نحوية دلالية

رسالة لنيل درجة الماجستير

مقدمة من الطالبة

ولاء أبوالمجد حلمي أبوالمجد

إشـراف

أ. د / صلاح محمد روّايّ

أستاذ النحو والصرف والعروض بالكلية

مشاركـة

أ. د / أحمد محمد عبد الدايم

أستاذ النحو والصرف والعروض بالكلية

٢٠١٥ م – ١٤٣٦ هـ

وقل رب زدني علما

شكر وتقدير

إلي أستاذي الجليل وشيخي الأجل ، الأستاذ الدكتور / صلاح روّايّ

الذي فتق أكمام هذا العلم ، واستخرج أروع ما فيه من طيوب ، فطفقت أنهل من مناهله الثرة الصافية ، فكان كنز مُثُل ، وبحر عطاء ومشرق نور ، ملأ عين مجتليه وأسر فؤاد رائيه ، ببيان مشرق ووضاءة فكر ، وحكمة بالغة وعمق فهم ، وأبوة حانية ، وقول جامع

تنبي بشاشة وجهه عن وده فيكاد يلقي النّجْح قبل لقائه
ونقاء قلب لو تأمّله امرؤ صادي الجوانح لارتوى من مائه

ثم إلي أستاذي الكريم الجليل الأستاذ الدكتور / أحمد محمد عبد الرايم

الذي ألفيته نزاعا للمكارم ، مبسوط الكف ، سخي اليد ، نديّ الخاطر ، متدفقا علما وخلقا ...

وإلى أستاذيّ الجليلين عضوي لجنة المناقشة :

الأستاذ الدكتور / ياسر حسن رجب

الأستاذ الدكتور / مبروك عطيّة

كم أتيه بحضوركما ، وكم أتوق أن أستمع توجيهاتكما ، لآخذ العلم منكما مترعا بالأصالة والمعاصرة ، بلغتكما الصافية صفاء الحق ، الواضحة كفلق الصبح

لكم جميعا خالص شكري وأعمقه ... لا هنتم ولا هان كوثر يسري في بساتين أعماركم ... أمد الله في أعماركم ورضي عنا وعنكم ، ملأ أعينكم بما تقر به عين ...

الإهداء

إلـى روح **والـدي** مستمطرة عليهـا الرحمـات ، كـان بـودي أن يشـهد ثمـار غرسـه الطيـب، لكـن عزائي أن روحه في مقعد صدق عند مليك مقتدر بحول الله .

ثم إلى **والدتي** التي مزجت نفسها بنفسي ، امتزاج الماء بالماء، وصبت من روحها في سروري، فامتلأ حبي بروحها وروحي بحبها ، وجعلت لـي وجودا فوق الدنيا ، فاستعذبت عوادي الحياة وهان علي كل عسير ... أمي ، لو جعلت الجنة امرأة لكانت هي أنت ...

إلى **أخي وأختي وأبنائها** ، فقد كانوا بكلماتهم وقودَ علم ، وبحثهم زادا لي علـى الدرب ، مـا توانـوا يومـا ومـا تـأخروا عنـي ... مـلأ الله قلـوبهم انشـراحا وارتياحـا و هـدوءًا وسكينة ، ورضـي عنـا وعنهم .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين – خلق الإنسان علمه البيان والصلاة والسلام علي خاتم النبيين وسيد المرسلين والمبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد - سيد الفصحاء وإمام البلغاء وقدوة الاتقياء وعلي آله وصحبه وسلم ..

وبعد ،،،

فإنه من مجاوزة الحقيقة فيما أعتقد أن يظن باحث في القرآن الكريم مهما علا كعبهُ ، أنه قد استنفد ما فيه ، أو استقصى ما يوحى به ، ويعطيه ، أو كل ما يشير إليه ويغطيه ، فقد صدق الله تبارك وتعالى حيث يقول (**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**) [1] ولذلك كان القرآن ولا يزال قريبا دائما من نفوس المسلمين ومن حيواتهم وهم دائما - على اختلاف عصورهم وتغاير فُهُوم أجيالهم - يشعرون بقربه من نفوسهم ، وأنه يحل لهم كل ما يجدُّ من مقتضيات حياتهم ، فيعُلُّون من معينه ، ويتضلَّعون من فيض عطائه ، ويوقنون بأن لا شئ علي اختلاف العصور أو تعاقب الدهور من محدثات تلك الحياة ، يمكنه أن يُحدِث فجوة بينه وبينهم ، وفى هذا السياق ، فإن القرآن الكريم يمتاز عن أي كتاب آخرعرفه الناس، وحينئذ نجد أن هذا الكتاب الكريم ينطق في كل سوره وفي كل آياته بأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه ، فهو تنزيل من حكيم حميد ، ويستحيل أن يكون من كلام البشر ، وإلا لكان كغيره من الكلام يتأثر باختلاف العصور وأطوارها ، وتباين العقول وتمايز الأفهام ، وتتالي الدهور .

ومما يلفت النظر أن البحوث حول القرآن الكريم قد تبدو في ظاهر الأمرغير قليلة ، ولكننا حين نلقي عليها نظرة مستقصية نجد أنها من القلة بحيث لا تتناسب مع عظمة عطاءات القرآن ، ولا تعدد جوانبه ، ولا كثرة إشاراته ، ولا تفجر دلالاته .

ولمن يحاول الدفاع عن علماء الإسلام وباحثيه أن يلتمس عذرا حقيقيا ، وهو صعوبة الكتابة عن القرآن على نفس المؤمنين به ، لا لذات الكتابة ، بل لتهيبه وخشية الخطأ في فهمه ، أو في التعبير عنه ، إيثارا للسلامة من عقاب الله ومن لوم الناس واحتقارهم .

ومع كل ما سبق فالقرآن الكريم لا يزال وسوف يظل المعين الذي لا ينضب لقواعد العربية ، وهو المصدر الوافي ، والرافد الأول الذي اعتمد عليه النحاه في التقعيد النحوي لما فيه من الشواهد الكثيرة الممثلة بحق لما نطقت به العرب فعلا بسليقتها وعلى سجيتها.

---

(١) سورة الأنعام ، أية ٣٨

أسباب اختيار الموضوع :

لكل الذي تقدم ، فقد آثرت أن أتخير موضوعا يكون أبعد شيء عما سبق التطرق إليه من مباحث حول القرآن الكريم ، وهو اختيار واحد من أساليب القرآن الكريم المعجزة التي لا يتأتي لبشر مهما أوتى من صنوف البلاغة ، وتفنن في دروب الفصاحة أن يطاولها أو يبلغ شأوًا بعيدا فيها ، أو يدرك شيئا من كمالها وجلالها ، قصدت بذلك :(أسلوب التهكم والسخرية في خطاب الكفرة والمعاندين)

ولعل أسباب اختيار هذا الموضوع تكمن فيما يلي :

أولا : رغبتي الملحة في أن أسهم بعمل أخدم به كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
ثانيًا : إبراز أحد كنوز القرآن الكريم الأسلوبية التي هي أحد ركائز تحدى الكتاب العزيز لأساطين البلاغة وأرباب الفصاحة من العرب وغيرهم.
ثالثًا : الوقوف على ما يكتنف أسلوب التهكم والسخرية في القرآن الكريم من قواعد تركيبية من النحو حتى يفضى إلى المعني المراد والوفاء بغرضه المنشود.
رابعًا : الوقوف على الصور التي اشتمل عليها التعبير القرآني لإفادة هذا الهدف المنشود من التهكم والسخرية والاستهزاء بالكفرة والملحدين.

الدراسات السابقة :

لم أقف – على حد علمي – أن ثمة بحثا أو دراسة أو رسالة علمية قد تناولت هذا الموضوع وتتبعته في القرآن الكريم على مستوى النحو أو الصرف أو اللغة، وقد كان انشغال الباحثين عن هذا الموضوع دافعًا لي للإقبال عليه وتدقيق النظر فيه.

خطة الدراسة :

فقد اقتضت طبيعة البحث ان تقسم إلي : مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول وخاتمة.

تحدثت عن أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره والأهداف والمقاصد المبتغاة من وراء الدراسة ، والمنهج المصطنع فيها .

وفى التمهيد :
أقدم تعريفا مفصلا لمصطلح التهكم – لغة واصطلاحًا – كما ورد في المعاجم العربية وجاء على ألسنة المفسرين والبلاغيين والمحدثين.

الفصل الأول بعنوان : الدراسة الصرفية ، ويشتمل علي أربعة مباحث هي :

المبحث الأول : صيغة اسم الفاعل

المبحث الثاني : صيغ المبالغة

المبحث الثالث : الصفة المشبهة

المبحث الرابع : أفعل التفضيل

الفصل الثاني بعنوان : الدراسة النحوية (الصور التركيبية للتهكم) وانتظم أربعة مباحث هي :

المبحث الأول : أسلوب الاستفهام

المبحث الثاني : أسلوب الإشارة

المبحث الثالث : أسلوب التعجب

المبحث الرابع : أسلوب القصر

الفصل الثالث بعنوان : الدراسة الدلالية (الصور الدلالية للتهكم) ويشتمل علي ثلاثة مباحث هي :

المبحث الأول : البشارة في معرض الإنذار

المبحث الثاني : الوعد في معرض الوعيد

المبحث الثالث : المدح في معرض الهجاء

الخاتمـــــة :

أوجز فيها ما فصلته في ثنايا الدراسة ، وأضمنها أهم ما توصلت إليه من نتائج

الفهـــارس :

فهرس الآيات القرآنية

فهرس قوافي الشعر

المصادر والمراجع

الفهرس العام لمحتوي الرسالة

ملخص الرسالة باللغة العربية

ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

تمهيد

المعنى اللغوي وعلاقته بالمعنى البلاغي :

لفهم هذه العلاقة نستعرض ما قالته قواميس اللغة ثم نعرج على ما قاله علماء البلاغة لتتضح العلاقة بعد ذلك.

في اللغة:

قال الزمخشرى : (هَكَّم – تهكمت – البئر – تهدمت – وتهكم عليه من شدة الغضب مثل تهدم عليه وتهكم علينا) تعدى قال:

تهكــم عمــرو علــى جارنــا وألقــى عليــه لــه كَلْكَــلا

وتهكم به تهزأ به ، وقال ذلك على سبيل التهكم ، قال حسان رضى الله عنه :

بنــي أم البنــين فلــن يَــرُعْكُم وأنــتم مــن ذوائــب أهــل نجــدِ
تَهَكّــمَ عــامر بــأبي بــراء لِيُخَفَــره ومــا خطــأ كعمــدِ (١)

وأول ما يلاحظ أن الزمخشري لم يتعرض للمعنى المجازي للفظ (هكم) مما يدل على اتحاد المعنى اللغوي والمعنى المجازي وهو الهدم والسخرية والاستهزاء.

وفي لسان العرب: التهكم – التكبر – والمتهكم الذي يتهدم عليك من الغيظ والحمق – والتهكم تهور البئر ، وتهكمت البئر ، وتهدمت ، والتهكم الاستهزاء ،وفي حديث أسامة : " فخرجت في أثر رجل منهم جعل يتهكم بي " ، أي يستهزئ ويستخف ؛ وفي حديث عبد الله بن أبي حدرد وهو يمشي القهقري ويقول : "هلمّ إلى الجنة " يتهكم بنا (٢) ؛ وقول سكينة لهشام : " يا أحول لقد أصبحت تتهكم بنا " ، التهكم الوقوع فى القوم ، وانشد لنهيك بن قعنب :

تَهَكَّمْتُما حَوْلَيْنِ ثُمَّ نَزَعْتُما فَلَا إِنْ عَلا كَعْباكُما بالتّهَكّمِ (٣)

(١) أساس البلاغة للزمخشري ، ج٢ ص ٣٣٧، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨م
(٢) كان عبدالله ابن أبى حدرد فى سرية أميرها أبوقتادة ، فلما ألتقى الجمعان مشى كافر القهقرى ونادى المسلمين وتهكم بهم وقال: هلم الى الجنة / .....
(٣) لسان العرب لابن منظور ، ج ١٢ص ٦١٧، مادة هكم ، دار صادر- بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ

(ب) في البلاغة :

المقصود بالتهكم:

" التهكم نوع عزيز من أنواع البديع لعلو مناره وصعوبة مسلكه " وكثرة التباسه بالهجاء في معرض المدح وبالهزل الذي يراد به الجد.[١]

أما المعاني البلاغية للتهكم فقد جاءت على لسان أهل البلاغة ونخص منهم بالذكر :

ابن أبي الأصبع حيث بيّن المتهكم: أي المتكبر ، وتهكمت تعتبت ، و هكمته عيرته تهكما :عبته ؛ وعلى هذا يكون التهكم إما لشدة الغضب قد أوعدك بلفظ البشارة ، أو لشدة الكبر وتهاونه بالمخاطب قد فعل ذلك ، أو ذكر بفعله عند العقوبة على سبب المعيرة له فهذا أصله [٢].

العلوي : التهكم عبارة عن شدة الغضب على المتهكم به ، لما فيه من إسقاط أمره وحط منزلته وحاله ، واشتقاقه من تهكمت البئر إذا سقط طيها). [٣]

ومن خلال المقارنة بين المعاني اللغوية للتهكم والمعاني البلاغية يمكن القول: أن علماء البلاغة اعتمدوا على ما جاء عند علماء اللغة ، وأن الاتجاهين متقاربان إلى حد كبير ، فهو يعني الهدم والسخرية والحط من الشأن ، ولكن علماء البلاغة أضافوا على هذا المفهوم معاني أخرى ، حيث اتسع مفهوم التهكم فشمل الهجاء الناتج عن شدة الغضب والتعيير والسخرية والاستهزاء والتهديد والوعيد ، وفحوى هذه المعاني هو الهدم ، والهدم له صور كثيرة منها : الهجاء و الشماته و التنديد والمناقضة والتعريض ؛ وهذا الاتجاه أقرب ما يكون إلى تعريف ابن أبي الأصبع حيث عرف التهكم بأنه : (عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار ، والوعد في مكان الوعيد ، والمدح في معرض الاستهزاء) [٤]

وعرفه صاحب الطراز فقال : (هو في مصطلح علماء البيان عبارة عن إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال استهزاء بالمخاطب)[٥] فالرجل قيد إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال بحالة الاستهزاء بالمخاطب ، **وبيّن أنه يرد على خمسة أوجه :**

---

(١) خزانة الأدب لأبن حجة الحموي ج ١ ص ٢١٥ ، مكتبة الهلال ، بيروت ، سنة ١٩٨٤م

(٢) تحرير التحبير لابن أبي الإصبع ص ٥٦٨ (ت٦٥٤هـ) تقديم وتحقيق الدكتور حفني محمد شرف ، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي ، جـ ١ / ص ١٢٨ ، المكتبة العنصرية – بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ

(٤) تحرير التحبير لابن أبي الإصبع ص ٥٦٨

(٥) الطراز للعلوي جـ ٣ / ص ٩١

أولهما : أن يكون واردا على وجهة الوعيد بلفظ الوعد تهكما وهذا كقوله تعالى : (فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) .

وثانيهما : أن تورد صفات المدح والمقصود بها الذم ومثاله قوله تعالى : (ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) لأن المقصود هو الاستخفاف و الإهانة ولهذا ورد في حق من كان يدخل النار والغرض منه الذليل المهان ولكنه أخرجه هذا المخرج للتهكم.

وثالثها : المضارع المبدوء بقد – ويراد التكثير على جهة التهكم ومنها قوله - تعالى:– (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ) [1]

والرابع والخامس : اكتفى بضرب أمثلة دون أن يضعها تحت صور معينة ،وليؤكد ما يرمي إليه نص على أن (الجامع لشتات معانيه (التهكم) وهو ما ذكرناه من إخراج الكلام على خلاف مقتضى الحال) [2]

من كل ما سبق يتضح أن معارض التهكم تتمثل في عدة صور منها : الإتيان بالبشارة في موضع الإنذار ، والوعد في مكان الوعيد ، والمدح في معرض الاستهزاء ، وبعض أنواع الهجاء والاستحقار والاستخفاف ، وكل ما فيه هدم وتندر والحط من الشخصية ؛ وهو أسلوب لاذع ، الغرض منه الإيلام النفسي (وبيان ذلك أن إظهار الشيء في صورة ضده مما يفيد عدم المبالاة به ، وتحقير شأنه و تزاديه إهانته فيحصل بذلك تهكم به عنده قصده) [3]

فالسخرية قديمة قدم الإنسان ، وقصة نوح عليه السلام تكشف ذلك وتوضحه فحين أمره الله – ﷻ – ببناء السفينة ليجمع فيها من كل زوجين اثنين وأهله ومن معه من المؤمنين ، هزأ به قومه وضحكوا وتهكموا به وقالوا : (يا نوح قد كنت بالأمس نبيا وأصبحت اليوم نجارا) ؛ ويسجل القرآن هذا الحديث بقوله - تعالي- : ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [4]

والسخرية التي ملئت بها كتب الأدب العربي (التهكم بالعيوب الخِلقية والخُلُقية والنفسية والجسدية والدعابة والحذلقة والتهكم الاجتماعي والسياسي والتخلص الفج والقلب والعكس وغير ذلك).[5]

---

(١) الطراز للعلوي ، ج ٣ / ص ٩١
(٢) السابق نفسه ، ص ١٦٤
(٣) مواهب عبد الفتاح ضمن شروح التلخيص ، لابن يعقوب المغربي ، جـ ٤ / ص ٧٨ ، دار الكتب العلمية
(٤) سورة هود : الآية ٣٨
(٥) السخرية في أدب الجاحظ للسيد عبد الحليم محمد حسين ، ص ٦٥ – الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع – ليبيا

الفصل الأول
الدراسة الصرفية